المساجد شرقي بلاد الأندلس
النشأة والدور
(484 ـ620هـ /1091ـ 1223م)

أشرف حسين امحمد الفرادي*

استلم بتاريخ 2022.12.25 قبل بتاريخ 2023.01.29 نشر بتاريخ 2023.03.08

الملخص:

إن من أبرز العوامل التي أثرت في الحياة الثقافية عامة، والأدبية خاصة هي توفير مصادر التثقيف والتعليم، فقد لعبت المساجد دوراً هاماً في تعليم المسلمين الدين الإسلامي، وكذلك في نشر العلوم، والثقافة الإسلامية والعربية، ومما لاشك فيه أن للمساجد مكانتها في نفوس المسلمين فهي تحتل جزءاً مهماً من حياة المسلم وتتجسد أهميتها في كونها تؤثر في قطاع كبير من الناس بما تقوم به من شرح وتوضيح لأمور الدين والعقيدة وتنمية للقيم الأخلاقية والاجتماعية.

إن الدراسات في صدر الإسلام وما تلاها من عصور كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين، وتوضح أسسه وأحكامه، وهذا يتصل بالمسجد أوثق اتصال، وبملاحظة أن الدولتين المرابطية و الموحدية قامتا على أساس ديني تبين لنا مدي اهتمام ولاة الأمر من المرابطين والموحدين ببناء المساجد في أماكن متفرقة من بلاد الأندلس.

المقدمة :

تعتبر المساجد أهم مؤسسة تعليمية إسلامية على الإطلاق، ودراسة هذه المؤسسة في أي منطقة من العالم الإسلامي، هي دراسة المكان الرئيسي للحياة الثقافية الإسلامية.

حيث إن المساجد والجوامع في العالم الإسلامي كافة كانت ولا تزال تحمل رسالة تعبدية وعلمية، ومنذ أن وضع الرسول ﷺ أساس مسجده في المدينة المنورة اضطلعت المساجد بهاتين الدورين الأساسين، التعبدي والعلمي في بادئ الأمر، كما أن المسجد في العصور الإسلامية الأولى وحتى دخول المسلمين بلاد الأندلس يعتبر المقر الرئيسي الذي تناقش فيه أمور المسلمين السياسية والأمنية والعسكرية وغيرها من أمور حياتهم العلمية.

* كلية الآداب- الجامعة الأسمرية الاسلامية www.zara9390@gmail.com

ومساجد وجوامع الأندلس لم تكن بعيدة عن هذا، فبجانب رسالتها الدينية كانت تقوم بوظائفها العلمية والثقافية والاجتماعية، وهو ما يهمنا في هذا البحث، أو ما نود أن نبسط الحديث عنه، هو الدور العلمي والثقافي الذي كانت المساجد والجوامع في بلاد الأندلس تقوم به .

اختيار الموضوع :ـ

لقد حظى التاريخ السياسي للمسلمين في بلاد الأندلس باهتمام كثير من الباحثين، غير أن الدراسات الحضارية لم تحظي بنفس الاهتمام، ولعل ذلك يعزى إلى أن الدراسات السياسية تجد لها مادة وميزة في بطون كتب المؤرخين القدامى يعكس النواحي الحضارية، والتي تحتاج من الباحث مضاعفة الجهد والدأب المستمر في الحصول على المادة الأساسية ثم في عملية المقارنة والاستنتاج .

ومنها اتجه تفكيري لدراسة المساجد شرقي بلاد الأندلس ودورها التاريخي والثقافي في عهد المرابطين والموحدين(484 ـ620هـ /1091ـ 1223م) لأن هذا يعد من العصر الذهبي للمسلمين في بلاد الأندلس، نظراً لتطور الحياة الفكرية تطوراً لم يكن له مثيل من قبل .

ـ إشكالية الدراسة :ـ

تحددت إشكالية الدراسة في إبراز دور المساجد وبيان أهميتها في الحركة العلمية والثقافية في بلاد الأندلس خلال عهد الدولتين المرابطية والموحدية ومن خلال هذه الإشكالية نطرح التساؤل الآتي: ما هو الدور الذي يقوم به المسجد في الحياة اليومية للمسلمين بجانب وظيفته الرئيسة الصلاة؟ وبماذا تميزت المساجد في عهد المرابطين والموحدين في بلاد الأندلس عن غيرها من المساجد في هذا العصر؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قمت بتقسيم البحث إلي ثلاثة مباحث تسبقهم مقدمة وتعقبهما خاتمة تحدثت في المقدمة عن أهمية دراسة المساجد ودورها الريادي وخاصة في جانب تعليم القرآن الكريم وعلومه من الفقه، والحديث، واللغة، والأدب، وغيرها من الفنون الإسلامية، حيث تناولت في المبحث الأول المساجد الجامعة، حيث تم الحديث عن أنواعها وخاصةً في شرقي الأندلس، وتحدثت في المبحث الثاني عن المساجد شرقي بلاد الأندلس في عهد المرابطين وتناولت جانب من العلماء في ذلك العصر، أما المبحث الثالث فعنونته بالمساجد شرقي بلاد الأندلس في حقبة الموحدين، مع التطرق لبعض علماء هذا العصر .

وأخيراً تأتي الخاتمة وضمنتها خلاصة البحث وأهم النتائج، ثم قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث. أسأل الله عزَ وجلَ أن يكون هذا العمل خالصاً له والحمد لله أولاً وآخراً.

ISSN 2710-4478 (Online) ISSN 2710 -446× (Print)

المسجد :

المسجد في اللغة مأخوذ من سجد سجوداً وهو وضع الجبهة على الأرض، وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد، فقد قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (1) وقال النبي ﷺ ((وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلي))(2) وهو مصلى الجماعة والمسجد الحرام، والكعبة، والمسجد الأقصى، ومسجد بيت المقدس(3).

ـ **المسجد اصطلاحاً** :هو نواة المدينة أو القرية الأندلسية، فهو أول ما يختط ويتخذ غالباً مركزاً متوسطاً ليكون قريباً من كل موضع فضلاً عن كونه مركزاً مهماً للتعليم الديني وبعض العلوم الأخرى(4)

ويعد المسجد أهم مؤسسة تعليمية على الإطلاق، فكان المكان الرئيسي للتعليم في فجر الحياة الثقافية الإسلامية، ويعد رسولنا الكريم ﷺ مؤسس أول مسجد في الإسلام وهو مسجد التقوى في قباء قرب المدينة المنورة(5)

وكان المسجد الجامع يقع في الشارع الرئيس من مركز المدينة ويتكون من بيت للصلاة وساحة كبيرة ذات أروقة مرتبة حولها بالإضافة إلي المئذنة التي يرفع منها المؤذن صوته داعياً إلي أداء الصلوات(6)

وقد ورد ذكر المسجد أكثر من مرة في القرآن الكريم للدلالة على أهميته والإشارة إلى فضله منها قوله عز وجل ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (7).

---

1 سورة البقرة : الآية 114.

2 البخاري : الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلي الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، تح، محمد ديب، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1987م، ج1، ص128، حديث رقم 328.

3 المعجم الوسيط : إبراهيم أنيس، عبد الحليم المنتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية القاهرة، ط5 ،2004م، ص433.

4 سعيد أبوزيد : الحياة الاجتماعية في الأندلس عصر دولتي المرابطين والموحدين، ص 74.

5 محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، 1982م، ص267.

6 ليوبولدو تورس بالباس : المدن الإسبانية الإسلامية، تر، إليو دورو دي لابنيا، مراجعة، نادية محمد جمال الدين، عبد الله العمير، مركز فيصل للبحوث الإسلامية، ط1، 2003م، ص195.

7 سورة التوبة: الآية 18.

كان المسجد في بادئ أمره مكاناً لتعليم المسلمين مبادئ الدين الجديد، إلا أنه ما لبث أن أضحى مؤسسة ثقافية تعليمية عظيمة، فتركزت فيه جميع مظاهر الحياة العامة للمسلمين من كل جوانبها السياسية، والدينية، والثقافية، والاجتماعية، فكان المسجد مصلّى ومدرسة وجامعة، ومجلساً، وطنياً، وداراً للإفتاء، ومقراً للقضاء، ومنطلقاً للجيوش[1]، ومنزلاً لاستقبال السفراء، ومركزاً تدور حوله الحياة الدينية، فيتعلم فيه المسلمون أمور دينهم، ويؤدون شعائرهم، فضلاً عن كونه مكاناً يجمعهم لمناقشة شؤونهم[2]

وقد أشارت كتب الحسبة بضرورة المحافظة على المسجد نظراً لما يحيطه من قدسية منها ما أورده ابن عبدون بأن ((المساجد هي بقعة العبادة وهي بيوت الله ومواضع الذكر، يجب أن لا يؤدب فيها الصبيان فإنهم لا يتحفظون من النجاسات بأرجلهم ولا من ثيابهم، فإن كان ولابد ففي السقائف))[3]

وربما تشير كلمة الصبيان هذه إلى الكتاتيب التي كانت غالباً ما تلحق بالمسجد[4]

وأسهبت المصادر في الحث على قدسية المسجد، منها ما أورده البكري((من أن من رفع صوته في المسجد ضرب على قدر ما يراه الضارب له صلاحاً حتى إنه من ضمن ما شذ فيه عبدالله بن ياسين الزعيم الروحي للدولة المرابطية من الأحكام أن من تخلف عن الصلاة فى المسجد ضرب عشرين سوطاً))[5] .

ويتضح مما سبق فيما يخص قول العلماء عن منع الصبيان من دخول المسجد أنهم يخصصون ذلك بالصبيان الأقل من سبع سنوات .

1 على الجنبلاطي: أبو الفتوح التونسي : دراسات مقارنة في التربية الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، د ت، ص22.

2 ليفي بروفنسال: آداب الأندلس وتاريخها ،تر ،محمد عبد الهادي شعيرة، المطبعة الاميرية، القاهرة، 1951م، ص97؛ علي عبد السلام سيد أحمد: ورقات تاريخية عن حياة البربر الدينية و الخلقية في المغرب العربي، (المجلة التاريخية المصرية، المجلدان الثلاثون والواحد والثلاثون، 1983 .1984م) ص121؛ سعيد عبد الفتاح عاشور :العلم بين المسجد والمدرسة، (بحث منشور ضمن ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992 م، ص16 ـ 17 .

3 ابن عبدون : محمد بن أحمد التجيبي، رسالة في القضاء والحسبة،تح، ليفي بروفنسال، المعهد العلمي لفرنسي، القاهرة، 1955م، ص 21 ـ 22. 22.

4 زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، تر فاروق بيضون، دار الأفاق، 1991م، ص478.

5 البكري: أبوعبيد الله بن العزيز، المغرب في ذكر بلاد أفريقي و المغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت، ص170

ISSN 2710-4478 (Online) ISSN 2710 -446× (Print)

وتتضح أهمية المساجد بشكل جلي عند قراءة عبارة المقري القائلة أن ((أهل الأندلس يقرؤون جميع العلوم في المسجد))[1] وتناولت كتب النوازل نوعية العلوم التي يجب أن تدرس في المسجد منها قراءة الحساب، وإعراب الأشعار الستة، بخلاف فن قراءة المقامات لما فيها من الكذب والفحش[2] وأكدت معظم المراجع الحديثة هذا الرأي وأشارت إلى أن التعليم كان يتم في المسجد خلال هذا العصر بأسره[3] .

ومن الضرورة هنا الإشارة إلى أن ما كان يدرس في حلقات المساجد، إنما هو في الأساس ما عرف بأسن (العلوم النافعة) ومع أن الأصل في المساجد أن تفرد لعبادة الله سبحانه، فإن دراسة الفقه قد عدَت من أفضل العبادات، وإلى جانب الفقه كانت تدرس في المساجد مختلف العلوم الإسلامية الشرعية المساندة[4] وقد أجاز العلماء قراءة الحساب في المسجد وإعراب الأشعار الستة، أما قراءة المقامات لا يجوز لما فيها من الكذب والفحش[5] .

و من ذلك يتبين أن المساجد لعبت دوراً تعليمياً مهماً في بلاد الأندلس، حيث إنها كانت تستخدم كمعاهد لتعليم الناشئة أصول الدين واللغة والأدب، لأنها كانت مراكز تعليمية وثقافية مهمة يعقد بها حلقات العلماء لدراسة القرآن الكريم والفقه واللغة[6] .

ويتضح مما سبق أن تعليم الصبيان في المسجد كان موجوداً وكذلك وجود حلقات لهم ولكن كان هذا مشروطاً بتوفر سن مناسب وخاصة بعد وصولهم سن سبع سنين، وحسن الاستماع والهدوء والحفاظ علي نظافة المسجد .

1 المقري :أحمد بن محمد التلمساني ن نفخ الطيب في خصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، ج1، ص220.

2 الونشريسي: أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقية والأندلس و المغرب أ إشراف محمد صبحي، دار الغرب الإسلامي بيروت 1981م، ج11، ص13.

3 عصمت دندش : الأندلس في نهاية عصر الطوائف الثاني ومستهل عصر الموحدين، دار الغرب الإسلامي، 1988م، ص369.

4 علي بن محمد بن سعيد الزهراني : الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (212 ـ 484 هـ / 826 ـ 1091م) مركز بحوث العلوم الاجتماعية، مكة المكرمة، 1996م، 231 ـ 232 .

5 حارث علي عبد الله : التعليم في بلاد المغرب و الأندلس من خلال كتب الفتاوي (ابن رشد والبرزلي نموذجا) مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج 9، العدد 4، 2019 م، ص183

6 محمد منير موسي : التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ،عالم الكتب، القاهرة ،1977، ص221 .

ـ أنواع المساجد :ـ

تتنوع المساجد بين مساجد كبيرة جامعة وأخرى صغيرة وهي التي تنتشر في القرى والأحياء .

أولاً: المساجد الجامعة :

وهي المساجد التي تقوم الدولة بإنشائها وترعاها السلطة الحاكمة، وترتب لها الأئمة وتتولى الإنفاق عليها ويقوم الأمير أو الخليفة أو الملك بأمرها[1] أو يفوض ذلك للقاضي الذي يتولى تنصيب الإمام، وقد قام الأمراء و الخلفاء والملوك ببنائها في كل حاضرة، وتنافسوا في هندستها واستقطابها العلماء لها، وكذا الطلاب على حد سواء، وتشترك في عدد من العناصر المعمارية مثل المحراب، والصحن والمقصورة، والصومعة، (المئذنة)، المنبر[2].

ومن المساجد الجامعة مسجد بلنسية الجامع الذى كانت تقام فيه حلقات يومية لتدريس علم القراءات والتفسير، كما عكف آخرون على تدريس علم الحساب به مثل، أحمد بن أبي المطرف بن جزي (588هـ / 1192م)[3] وتم تحويله إلي كنيسة بعد استيلاء الأرجوانيين عليه وأسموه كنيسة ماريا العالية (القدسية)[4] ومسجد ميورقة الجامع الذي تقوم فوقه حاليا كنيسة تسمى الكاتدرائية[5]

1 الماوردي : أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت 450 هـ / 1058 م) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1983م، ص88 ـ 90 ؛ محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، دار الطباعة المغربية، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1953م، ص95 .

2 الماوردي : الأحكام، ص 88 ـ 90 ؛ سعيد أبوزيد : الحياة الاجتماعية في الأندلس، ص75؛ محمد عادل عبد العزيز، التربية والإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة العامة للكتاب، 1987م، ص49 ؛محمد عيسي : تاريخ التعليم في الأندلس، ص268.

3 ابن الآبار : أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، تح، عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1995م، ج1، ص145 ؛ المراكشي :عبد الملك، الذيل و التكملة لصلتي الموصول والصلة، تح، محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت ،دت، س1، ق1، ص194.

4 محمد عبد الله عنان : الأثار الأندلسية الباقية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1995م، ص95.

5 محمد عنان : الأثار الباقية، ص127.

ISSN 2710-4478 (Online) ISSN 2710 -446× (Print)

ـ ثانيا المساجد الصغيرة :ـ

وعلاوة على المساجد الجامعة فقد كانت معظم مدن الأندلس تشمل على عدداً معين من المساجد التي تقام على نفقة أهل الخير من الأغنياء وذوي اليسار من المسلمين سواء في أثناء حياتهم، أو حتي بعد وفاتهم تنفيذاً لوصية يوصون بها أو تقرباً إلي الله مثل[1] .

ـ مسجد عبيد الله عيشون المعافري (ت 574هـ / 1178م) الذي أسس مسجداً باسمه على مقربة من باب القنطرة أحد أبواب بلنسية، كما أوقف عليه داراً لمن يؤم به[2] وكانت تقوم به حلقات أسبوعية للدراسة إثر الانتهاء من أداء صلوات الجمع[3].

ـ مسجد الشراجب ببلنسية ومن مشهور أئمته عبيد الله بن خلف الأزدي (ت 600هـ / 1203م)[4].

ـ مسجد السيدة* داخل بلنسية وكان مكاناً لتلاوة القرآن الكريم بالتناوب بين أبي الحسن بن واجب، وأبي عبد الله بن أبي بكر (ت 619هـ /1222م)[5]

ومن المساجد الأخرى ببلنسية مسجد رحبة القاضي ببلنسية في الموقع الذي توجد به اليوم كنيسة سانتا كاتالينا[6] ومسجد ابن سرنباق التي كانت تقوم به مناظرات فقهية لمناقشة بعض الأمور الواردة في الكتب الفقهية مثل كتاب البرادعي[7]

ومن علماء تلك الفترة أبو الحسن بن بسام الشنتريني (ت542هـ /1147م) وهو صاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة[8]

---

1 ليفي بروفنسال: تاريخ أسبانيا الإسلامية من الفتح وحتي سقوط الخلافة القرطبية ،ج1، تر، السيد عبد الظاهر عبد الله، المجلس الأعلي للثقافة ،دت، ص404؛ محمد عادل عبد العزيز، التربية و التعليم في المغرب، ص 49.

2 ابن الآبار: التكملة ،ج2، ص312.

3 ابن الآبا : المصدر السابق، ج2، ص160.

4 ابن الآبار: المصدر نفسة ،ج2، ص314.

- وينسب هذا المسجد إلي السيدة أم المعتضد بن العباد وقد أكمل بناؤه الحاج فارس بن قادم، ينظر: ابن الآبار: التكملة،ج4، ص314.

5 ابن الآبار: نفسة، ج3، ص234.

6 ابن الآبار: المقتضب من كتاب تحفة القادم، تح، ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري اللبناني، القاهرة، بيروت، ط3، 1989م، ص121 ؛ التكملة: ج2، ص274؛ ليوبولدوتورس بالباس، المدن الإسبانية الإسلامية ،ص318.

7 ابن الآبار: التكملة ،ج3 ،ص334.

8 المقري: نفخ الطيب، ج5 ،ص9 ؛ ياقوت الحموي :شهاب الدين أبوعبد الله، معجم الأدباء، دار المأمون، دن، دت ،ج12، ص275 .

ومسجد حزب الله الذي اتخذه عدد من الأعلام مكاناً لدراسة القرآن الكريم، وعلوم التفسير، وقيل عن (بني حزب) مؤسس هذا المسجد أنهم أهل علم ونباهه[1] ومنهم أبوبكر بن العربي المالكي (468 ـ 542هـ / 1075ـ1147م) صاحب كتاب (أحكام الفرات) و (العواصم و القواسم)[2] منهم أيضاً القاضي الفقيه المالكي أبو الوليد بن محمد بن أحمد بن رشد (ت 450 ـ 520 هـ / 1058ـ 1126م) ألف شرحاً علي المدونة في الفقه المالكي[3] .

أما مسجد الغَلَبَة ببلنسية الذي تولى عدد من الفقهاء الوعظ والإرشاد فيه منهم محمد بن سفيان [4] ومسجد شرب بنواحي بلنسية[5]

يتبين مما سبق أن علماء بلنسية كان لهم النصيب الأكبر في بناء معظم المساجد بها .

ومن الأعلام في ذلك العصر ابن الصيرفي (ت750 هـ / 1349م) الذي ألف كتاب الأنوار الجليلة في أخبار الدولة المرابطية، وله كتاب آخر بعنوان تقصى الأنباء وسياسة الرؤساء وكلاهما مفقود[6] .

كما انتشرت المساجد في مرسيه وهي قاعدة شرق الأندلس الثانية منها مسجد ابن غلبون المنسوب إلى جد أبي محمد غلبون بن محمد بن عبد العزيز (ت606هـ / 1209م) أحد أعلام المقرئين في عصر الموحدين[7] .

.

1 ابن الآبار: التكملة ،ج2 ص234.

2 ابن بشكوال: أبي القاسم خلف بن عبد الملك الأندلسي، كتاب الصلة، الدار المصرية، 1966م ،ج2، ص558 ـ 559 .

3 ابن فرحون: برهان الدين بن علي اليعمري المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، دن، دط، ص278 ـ 279.

4 ابن الآبار: التكملة، ج1 ،ص337.

5 ابا الآبار: التكملة، ج2، ص246.

6 ابن الخطيب: أبي عبد الله محمد بن عبد الله السلماني، الإحاطة في أخبار غرناطة، الشركة المصرية للطباعة والنشر، الخانجي، القاهرة، ط2 ،ج4، ،ج4، 1973 م، ص 407 ـ 415.

7 ابن الآبار: التكملة، ج2، ص94.

ISSN 2710-4478 (Online) ISSN 2710 -446× (Print)

ومسجد الفرح المنسوب إلى محمد بن الحارث بن محمد بن خيرة الصدفي ابن سقيق أبو علي الصدفي[1]، ومسجد الجرف الذي توالت فيه الحلقات لإقراء القرآن الكريم وتفسير الحديث[2] .

كما انتشرت مساجد أخرى في أرجاء الشرق الأندلسي مثل مسجد ابن وضاح بشاطبة[3] وجامع طرطوشة الذي تولى سعيد العبدري (ت 540 هـ / 1145م) قراءة القرآن الكريم فيه[4].

ومن علماء عصر الموحدين نذكر منهم علي سبيل المثال لا الحصر أحد الحفاظ المسجود بن أبي بكر محمد بن خير الإشبيلي (502 ـ 575هـ / 1108 ـ 1179م)[5]

ومن مؤرخي ذلك العصر أحمد بن إبراهيم الغرناطي (627 ـ 708هـ / 1229 ـ 1308م) صاحب كتاب صلة الصلة[6] .

ويتضح لنا مما سبق العناية ببناء المساجد، وحرص الخلفاء المسلمين على ذلك، وهذا مرده إلى أن المسجد يقوم بدوره في توضيح مذهبية الدولة واتجاهها الفكري للأفراد من خلال الخطب والدروس التي تلقى فيه يومياً، وكذلك الاحتفالات بالمناسبات الدينية وغير ذلك .

ـ المساجد في عصر المرابطين :.

يرجع تأسيس الدعوة والدولة المرابطية إلى قبيلة (لمتونة)، إحدى بطون (صنهاجة) من قبائل (البرانس) البربرية، لذا تسمى الدولة المرابطية أيضاً بالدولة (اللمتونية)، (واللمتونيين) ولاتخاذ لمتونة اللثام سمو (الملثمين) أو الملثمة، واللثام إشارة لأحد حكامها[7] .

وتعود أولوية هذه الدولة إلى (يحيى بن ابراهيم الجدالي) أمير (جدالة) شقيقة (لمتونة) وبطن أخرى لصنهاجة .

1 ابن الآبار: التكملة ،ج3 ،ص34.

2 ابن الآبار: التكملة ،ج3، ص147.

3 ابن الآبار: التكملة ،ج1،ص324.

4 ابن الآبار: التكملة ،ج 4 ،ص118.

5 المقري التلمساني: نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج1، ص515.

6 ابن فرحون: الديباج المذهب، ط بيروت ،ص42؛ المقري التلمساني، فتح الطيب، ج2، ص262 .

7 ابن الآبار: الحلة السراء ،ج2 ،ص 450؛ ابن عذاري : أبي عبدالله محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، دار الثقافة بيروت لبنان، لبنان، 1983م ،ج2 ،ص 467؛ ابن الآبار : التكملة، ج1 ،ص439ـ447 .

وقد توجه (يحيى) في جماعة إلى الحج، مستخلفاً ابنه (إبراهيم) وعرجوا في عودتهم على القيروان للاستماع إلى بعض علمائها سنة (440 هـ / 1043م) واتصلوا هناك بأبي عمران موسى الفاسي شيخ المذهب المالكي[1] وطلبوا منه أن يرسل معهم عالماً يفقههم في الدين لانقطاعهم في الصحراء فأرسل معهم (عبد الله بن ياسين الجزولي) [2] (450 هـ / 1052م) وكان ممن التف حول عبد الله بن ياسين زعيم قبيلة لمتونه يحي بن عمر بن إبراهيم الذي توفي سنة (446 هـ /1054م) فخلفه أخوه أبوبكر بن عمر في السنة الثانية، وكان كأخيه مثالا في الإخلاص و التضحية .

وبدأ التيار ينطلق قوياً من رباط عبد الله بن ياسين، ثم أقاموا تلك الدولة[3] وشرع أبوبكر بن عمر في إنشاء إنشاء قاعدة سياسية وعسكرية للدولة الجديدة في مدينة مراكش سنتة (461 هـ / 1069م) وأوكل الرئاسة وإدارة الدولة خلال غيابة لابن عمه يوسف بن تاشفين، الذي أظهر مقدرة ومهارة عالية في قيادة الدولة، فقاد الدعوة المرابطية من ذلك الحين ومكن لها من إنشاء الدولة الكبرى في المغرب أولاً[4] واستمر حكمه بين سنتي (463 ـ 500 هـ / 1070ـ 1106 م).

وتؤكد معظم كتابات المستشرقين اهتمام المرابطين ببناء المساجد، لكنها أشارت أنهم لم يحتفظوا بمساجد كثيرة في الأندلس، بل جل مساجدهم في المغرب وبخاصة مدينتي تلمسان ومراكش[5] .

1 الناصري :أبي العباس أحمد خالد، الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى ،ط1، الدار البيضاء، 1954، ج2، ص6 ؛ ابن عذاري : البيان المغرب، ج3 ،ص242؛ ج4، ص7.9 ؛ ينظر ترجمة موسى بن عيسي بن أبي حاج المعروف بالفاسي في ابن بشكوال : كتاب الصلة، ص611ـ 612 ؛ القاضي عياض: لأبي الفضل بن موسي اليحصبي السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار ومكتبة الحياة بيروت لبنان، دار ومكتبة الفكر، طرابلس ليبيا، 1965م ،ج3، ص752.

2 ابن ابي دينار: لأبي عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، طبعة تونس ،1967م ،ص104 ـ 105 ؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك ،ج3، ص 780 ـ782.

3 ابن عذاري: البيان المغرب ج4، ص9 ـ 17 ؛ ج3، ص243 ؛ الناصري : الاستسقاء ،ج2، ص21 .

4 ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص24 .

5 Henri terrasse lerole du maghrib danslevolution de lart hispano mauresque p.132 (alan dndalus volxxlll 1958).

ISSN 2710-4478 (Online) ISSN 2710 -446× (Print)

وإن كانت إشارة المؤلف المجهول ربما تنهض دليلاً على بناء المساجد في الأندلس بأيدي المرابطين وهي الإشارة التي وردت بأن علي بن يوسف (500 ـ 537 هـ / 1106 ـ 1143 م) أنشأ مسجداً بمنطقة مرسيه(1)

والراجح على ما يبدو أن اهتمام (علي بن يوسف) ببناء المنشآت الدينية يرجع إلى رغبته في نشر تعاليم الدين الإسلامي الصحيح المبني على العقيدة والتوحيد في شتي أرجاء بلاد الأندلس .

وقد حرص الأمراء المرابطين ورجال دولتهم على مراعاة قيم الإسلام والقيام بالجهاد في سبيل الله، ونصرة إخوانهم في بلاد الأندلس، واتخذوا من هذه المساجد منطلقاً لنشر تعاليم الدين الإسلامي، إلا أنه ولسوء الحظ تهدمت معظم هذه المساجد علي يد بعض خلفاء الموحدين المتأخرين أمثال المرتضي(2)

أما فترة حكم تاشفين بن علي (539 ـ 541 هـ / 1144 ـ 1146 م) فيبدو أن قصر مدة حكمه مقارنة بانشغاله بصد هجمات الموحدين ضد دولته لم تجعل له باعاً في هذا الصدد .

وزاد الموقف سوءاً قيام بعض الأندلسيين بالثورات ضد المرابطين وزعمهم أنهم أكثر رقياً وأعظم حضارة من هؤلاء الأفارقة(3) .

ـ المساجد في عهد الموحدين : .

قامت الدولتان المرابطية والموحدية علي أساس ديني، وصار لكل دولة منهما زعيماً دينياً، وهنا لابد من وقفةٍ نقرر من خلالها أن المرابطين كانت دعوة دينية، إصلاحية مجاهدة، (وما كان لابن تومرت وعبد المؤمن أن يقوموا بكل ما قاموا به هم وأعوانهم وبكل هذه القسوة)(4).

وهذا العنف غير المبرر ضد من حكموا بلاد المغرب الأقصى، وقسم من المغرب الأوسط نحو قرن من الزمان، وقاموا بجهاد مشكور في القسم الذي تيسر لهم نحو 60 سنة.

1 مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس ،ج1 ،تح لويس مولينا، المجلس الأعلى للثقافة، 1983م، ص76 .

2 عمر المرتضي بن اسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، يكني بأبي حفص مدة حكمه ثماني عشرة سنة وتسعة أشهر، وفي عهده لم تستقر الأحوال إلي أن أستولي الثوار علي مدينة سبتة ومن أهم الثوار في عهده الفقيه أبو القاسم ولد الفقيه ابي العباس العزفي اللخمي سنة (647 هـ / 1249م) خلف عمر المرتضي في الحكم أبو العلاء إدريس الشهير بأبي دبوس، ففر منه إلي أزمور حيث قبض عليه وقتله وذلك سنة (665 هـ / 1266م) ينظر: مؤلف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح، علوش ،المطبعة الاقتصادية ،1936 م، ص140.

3 عبد الله جمال الدين: المسلمون في الأندلس ،القاهرة، 1996 م، موسوعة سفير، ج7، ص98 .

4 محمد عبد الله عنان: دول الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي ،القاهرة، 1990م، 1997م ،ج4 ص 104.

ولم تعطينا المصادر سرداً لأي مسجدٍ من بناء الموحدين في شرق الأندلس ويمكننا رد ذلك لعدة عوامل منها انصرافهم إلي الجهاد في سبيل الله، كهدف أولي لدولتهم، أضف إلي ذلك اشتداد الصراع النصراني الإسلامي ووصوله إلى أَشُدِّه في فترتهم، زد على ذلك أنهم جاءوا إلي بلاد الأندلس في القرنيين السادس و السابع الهجريين الثاني والثالث الميلاديين، وهي فترة كان الإسلام فيها قد ضرب بجدوره التي لا حدود لها في أرض الأندلس، وهذا إن دلّ فإنه يدل على أن بناء المساجد كان أمراً ضرورياً منذ بدايات عهود الإسلام الأولي خصوصاً وأن الإسلام قد دخل بلاد الأندلس مبكراً منذ القرن الأول الهجري السادس الميلادي .

أما عن الإنفاق على هذه المساجد فكان يتم إما من بيت مال المسلمين، أو من أحباس موقوفة على هذه المساجد[1] ،ويقصد بالأحباس ما يوقفه عالم، أو فقيه، أو طبيب، أو آخرون من ذوي الثراء على مرفق عام يستفيد منه العامة، وعلى سبيل المثال هناك إحدى الأسر البربرية التي تنتمي إلي قبيلة (الزجالي) كانت تمتلك حديقة كبيرة وتحولت في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي إلى منتزه عام تنفيذاً لوصية صاحبها حتى قيل إنها كانت الحديقة الأولى في القرون الوسطي التي تمتعت بتلك الصفة[2] .

كذلك يحدثنا محمد عيسى في كتابة تاريخ التعليم في الأندلس، عن فرح بن حديده، بطليوسى المتوفي (480 هـ / 1087 م) أنه كان عالما بالقراءات، متصدرا للإقراء بها، جرى بينه وبين أمير بلده، المظفر أبي بكر محمد بن عبدالله ابن مسلمة بن الأفطس، ما أوجب انتقاله إلى أشبيليه، فقدمها في إمارة المعتضد بن عّباد، ووافي حينئذ إكمال أمه السيدة بناء مسجدها المنسوب إليها، فأجلسه المعتضد للإقراء به، بعد أن أجري عليه راتباً ونفقة من الأحباس، فلزم الإقراء بها إلى أن توفي[3] .

وقد تكون الأحباس كتب ومصاحف وأن أوصت كتب النوازل بحبس المصاحف بالذات في أماكن ذات قدسية مثل المساجد[4] .

1 الونشريسي: المعيار المعرب، ج7، ص237؛ محمد عيسي: تاريخ التعليم في الأندلس ،ص277.

2 ليوبولدو تورس بالباس: المدن الأسبانية الإسلامية، ص214.

3 محمد عيسي: تاريخ التربية و التعليم في الأندلس .ص277.

4 الونشريسي: المعيار المعرب ،ج7 ،ص37.

ISSN 2710-4478 (Online) ISSN 2710 -446× (Print)

الخاتمة

قامت المساجد على مر التاريخ الإسلامي بجانب وظيفتها الدينية بدور كبير في نشر التعليم و الثقافة في المجتمعات الإسلامية، فقد كان المسلمون ولايزالون يحرصون أبلغ الحرص علي بناء المساجد، ذلك أن المسجد هو النواة الأولى للمدرسة في الحضارة العربية الإسلامية، فلم تكن المساجد مكاناً للعبادة فحسب بل كانت مدرسة يتعلم فيها المسلمون القراءة و الكتابة والقرآن الكريم وعلومه ومختلف فروع العلم الأخرى، بل إن المسجد هو الجامعة العلمية التي خرجت كل المفكرين والعباقرة في شتى المجالات الذين قادوا مسيرة التطور الحضاري في العالم كله .

أما عن الحركة العلمية في الأندلس خلال فترة المرابطين والموحدين فقد استمرت في تقدمها وازدهارها، وبرز عدد كبير من كبار العلماء في فروع العلم المختلفة، وكان لهم انتاجهم العلمي المتميز الذي يشهد له تاريخ الحضارة الإسلامية، وكان له تأثيره البالغ في نشأة النهضة العلمية في أوروبا .

لقد تعدد استخدام المسجد في عدة أغراض، فصارت المساجد مراكز للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية، فكانت مكاناً للتقاضي يجتمع فيه القضاة للفصل في الشكاوي والخصومات، وهو المكان الذي تذاع فيه الأخبار الهامة التي تتعلق بمصلحة المجتمع .

هذا بالإضافة إلى كونها مدارس يتلقى فيها الطلاب اللغة العربية وأصول دينهم، واستمرت على هذا النحو في أداء رسالتها التربوية والتعليمية، فأخذّت تعمل جاهدة على تخريج كوادر علمية طيبة عملت على توسيع وتطوير العلوم وخدمة الإنسانية .

قائمة المصادر و المراجع

أولا : القرآن الكريم .

ثانياً المصادر :

1. ابن الآبار : أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، تح، عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1995م .

2 ـ ـــــ : المقتضب من كتاب تحفة القادم، تح، ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري اللبناني، القاهرة، بيروت، ط3، 1989م.

3 ـ ابن بشكوال :أبي القاسم خلف بن عبد الملك الأندلسي، كتاب الصلة، الدار المصرية، 1966م .

4 ـ البكري : أبوعبيد الله بن العزيز، المغرب في ذكر بلاد أفريقي و المغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت .

5 ـ ابن الخطيب : أبي عبد الله محمد بن عبد الله السلماني، الإحاطة في أخبار غرناطة، الشركة المصرية للطباعة و النشر، الخانجي، القاهرة، ط2 ،ج4، 1973 م .

6 ـ ابن أبي دينار : لأبي عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، طبعة تونس،1967م .

7 ـ ابن عبدون :محمد بن أحمد التجيبي، رسالة في القضاء والحسبة، تح، ليفي بروفنسال، المعهد العلمي لفرنسي، القاهرة، 1955م .

8 ـ ابن عذاري :أبي عبدالله محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، دار الثقافة بيروت لبنان، 1983م .

9 ـ ابن فرحون :برهان الدين بن علي اليعمري المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، دن، دط .

10 ـ القاضي عياض : لأبي الفضل بن موسي اليحصبي السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار ومكتبة الحياة بيروت لبنان، دار ومكتبة الفكر، طرابلس ليبيا، 1965م .

ISSN 2710-4478 (Online) ISSN 2710 -446× (Print)

11 ـ الماوردي : أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت 450 هـ / 1058 م) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1983م .

12 ـ المراكشي: ابن عبد الملك، الذيل و التكملة لصلتي الموصول والصلة، تح، محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، دت، س1، ق1.

13 ـ المقري: أحمد بن محمد التلمساني، نفخ الطيب في خصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م .

14 ـ مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس ،ج1، تح لويس مولينا، المجلس الأعلى للثقافة، 1983م،

15 ـ ـــــ : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح، علوش، المطبعة الاقتصادية، 1936 م، ص140.

16 ـ الناصري :أبي العباس أحمد خالد، الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى ،ط1، الدار البيضاء، 1954.

17 ـ الونشريسى : أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقية والأندلس و المغرب أ إشراف محمد صبحي، دار الغرب الإسلامي بيروت 1981م.

18 ـ ياقوت الحموي :شهاب الدين أبوعبدالله، معجم الأدباء، دار المأمون، دن، دت.

ثالثاً المراجع :

19 ـ سعيد أبوزيد: الحياة الاجتماعية في الأندلس عصر دولتي المرابطين والموحدين، الهدى للطباعة، شبين الكوم، 1996م.

20 ـ عبد الله جمال الدين: المسلمون في الأندلس ،القاهرة، 1996 م، موسوعة سفير، ج7.

21 ـ على الجنبلاطي: أبو الفتوح التونسي: دراسات مقارنة في التربية الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، د ت.

22 ـ عصمت دندش: الأندلس في نهاية عصر الطوائف الثاني ومستهل عصر الموحدين، دار الغرب الإسلامي، 1988م.

23 ـ محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، 1982م.

24 ـ محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، دار الطباعة المغربية، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1953م .

25 ـ محمد عادل عبد العزيز، التربية والإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة العامة للكتاب، 1987م .

26 ـ محمد عبد الله عنان: الأثار الأندلسية الباقية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1995م.

27 ـ ـــــ : دول الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي ،القاهرة، 1990م، 1997م ،ج4 .

28 ـ محمد منير موسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ،عالم الكتب، القاهرة ،1977.

رابعاً المراجع المعربة:

29- زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، تر، فاروق بيضون، دار الأفاق، 1991م،

30 ـ ليوبولدو تورس بالباس: المدن الإسبانية الإسلامية، تر، إليو دورو دي لابنيا، مراجعة، نادية محمد جمال الدين، عبد الله العمير، مركز فيصل للبحوث الإسلامية، ط1، 2003م .

31 ـ ليفي بروفنسال : آداب الأندلس وتاريخها، تر، محمد عبد الهادي شعيرة، المطبعة الاميرية، القاهرة، 1951م.

32 ـ ـــــ : تاريخ أسبانيا الإسلامية من الفتح وحتي سقوط الخلافة القرطبية ،ج1، تر، السيد عبد الظاهر عبد الله، المجلس الأعلى للثقافة ،دت.

رابعاً المعاجم :

33 ـ البخاري : الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلي الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تح، محمد ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1987م

34 ـ المعجم الوسيط : إبراهيم أنيس، عبد الحليم المنتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية القاهرة، ط5 ،2004م.

خامساً الدوريات :

35 ـ حارث علي عبد الله : التعليم في بلاد المغرب و الأندلس من خلال كتب الفتاوي (ابن رشد والبرزلي نموذجا) مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج 9، العدد 4، 2019 م .

ISSN 2710-4478 (Online) ISSN 2710 -446× (Print)

36 ـ سعيد عبد الفتاح عاشور: العلم بين المسجد والمدرسة، (بحث منشور ضمن ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992م،

37 ـ علي عبد السلام سيد أحمد: ورقات تاريخية عن حياة البربر الدينية و الخلقية في المغرب العربي، (المجلة التاريخية المصرية، المجلدان الثلاثون والواحد والثلاثون، 1983 ـ1984م)

38 ـ علي بن محمد بن سعيد الزهراني: الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (212 ـ 484 هـ / 826 ـ 1091 م) مركز بحوث العلوم الاجتماعية، مكة المكرمة، 1996م.

Mosques in eastern Andalusia

Origin and role

Ashraf Hussein Mhamed Alfaradi

Abstract

that affected the cultural life in general, and the literar one in particular, is the provision of sources of culture and education. It occupies an important part of the life of a Muslim and is embodied Its importance is that it affects a wide segment of people by explaining and clarifying matters of religion and belief and developing moral and social values, and the mosque has an educational role in the Islamic world. Its foundations and provisions, and this is related to the mosque in the closest connection, and noting that the two Almoravid and Almohad states were based on a religious basis shows us the extent of the interest of the Almoravid and Almohad rulers in building mosques in separate places in the country of Andalusia.

ISSN 2710-4478 (Online) ISSN 2710 -446× (Print)